مجلة التجديد العربي Arabic Renewal Journal

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الثاني/ يوليو 2021

الميثاق الفكري للمعهد العالمي للتجديد العربي: تأملات في إشكالية الثقافة والوعي

فريق الميثاق (فريق، 2021) للبحث[1] / وحدة الدراسات الثقافية

الدكتورة. إلهام لطيفي– الدكتورة. جميلة الفيلالي– الدكتور. حمازه محمد الطاهر– الدكتور. رحيم مزيد الكعبي

الدكتور. سعيد أصيل– الدكتورة. عبلة معاندي– الدكتورة. منال بالحائزة العريبي

ملخص

إن أهم ما يتسم به مشروع التجديد العربي هو استلهام القيم والأفكار الناتجة عن محاولات النهوض العربي عبر مراحل التاريخ، في جوانبها الروحية والمادية والثقافية وإشعاعاتها في المجتمعات والعصور المختلفة.

تتناول هذه الورقة البحثية فقرة "إشكالية الثقافة والوعي" الورادة في الميثاق الفكري للمعهد العالمي للتجديد العربي؛ إذ تحاول رسم معالم المشروع الثقافي العربي المطروح في الميثاق الفكري وصلته بالوعي الجماعي والفردي، وذلك من خلال قراءة وتأمل البنود الستة في الفقرة المذكورة، كما هي محاولة لفتح آفاق لدراسة المشروع الثقافي العربي برؤية تجديدية، من أجل قراءة واقع الثقافة العربية واستشراف مستقبل الثقافة والوعي العربيين.

وتعتمد هذه الورقة الأسلوب العنقودي النظري المتعدد، مفاتيح لأسرار الوعي واللاوعي الثقافيَّيْن في الوقت الذي تتطرق فيه لأهم المواضيع التي تدور في دائرة الثقافة والآليات المؤثرة فيها من منطلق الدراسات الثقافية.

ومن خلال التأمل والتفكير في فقرة "إشكالية الثقافة والوعي" الواردة في الميثاق الفكري، ناقشت هذه الورقة أسئلة فرعية عدة، من أهمها:

- ما مفهوم الثقافة؟ وما صلتها بالحضارة؟؛
- كيف السبيل إلى ثقافة عربية متجددة؟ وكيف يمكننا تجاوز عقبات الماضي وتبعاته نحو ثقافة جديدة؟؛
- كيف يمكن تعزيز الإنتاج الثقافي المتجدد في مختلف مجالات الثقافة والفنون والابداع؟؛

[1] فريق الميثاق للبحث في وحدة الدراسات الثقافية برئاسة إلهام لطيفي وبإدارة منال بالحائزة العريبي.

- ما آليات تمكين المشروع الثقافي العربي واستراتيجياته في تحقيق التنمية المستدامة؟؛
- ما أهم الوسائل والاستراتيجيات المساعدة على إعادة بناء المؤسسة التعليمية والإعلامية من أجل تعزيز المشروع الثقافي العربي؟...

وتكمن أهمية هذه الورقة في أنها أول ورقة بحث تتناول الميثاق الفكري للمعهد العالمي للتجديد العربي بعد نشره بأقل من خمسة شهور، وتركز على قضية محورية في مشروع التجديد العربي، وهي قضية الثقافة وصلتها بالوعي العربي. وقد شارك في إنجازها باحثون متعددو الاختصاصات من أنحاء الوطن العربي في وحدة الدراسات الثقافية في المعهد. وقد ارتأينا في هذا العمل البحثي اعتماد مقاربة متعددة التخصصات تستمد نسغها من دينامية التحول البراديغمي باتجاه التحرر من سياج التخصصية الضيقة. وتراهن هذه المقاربة الدمجية التشاركية على حوارية معرفية متكافئة بين الفاعلين في المجال البحثي، كما تراهن على البعد العلائقي للعلوم والمعارف، وضرورة البحث عن المشترك والمتعالق من الأسئلة المعرفية في شتى المجالات. وهي بذلك تتبدى كَوُرشٍ بحثية مفتوحة على آفاق معرفية واعدة ضمن إطار البرنامج البحثي الاستراتيجي للمعهد. وقد تم اعتماد المنهج الكيفي في البحث، علها تكون ورقة مرجعية لرسم ملامح الثقافة ودورها في بناء مشروع المستقبل العربي وانطلاقا من الخطة الخمسية لوحدة الدراسات الثقافية.

الكلمات المفتاحية: الميثاق الفكري للمعهد العالمي للتجديد العربي – المشروع الثقافي – إشكالية الثقافة والوعي– التجديد العربي

Abstract

The most important feature of the Arab Renewal Project is the inspiration of values and ideas resulting from attempts at Arab renewal through the stages of history in their spiritual, material and cultural aspects, and their influence in different societies and eras. We can say that culture is the sum of what man and society create in terms of science, art and areas of material and spiritual life in order to use it to answer the big questions that arise.

This research concerns the paragraph "culture and awareness issues" contained in the Intellectual Charter of the Global Institute for Arab Renewal; It tries to trace the features of the Arab cultural project proposed in the Charter by reading and contemplating the six elements of the mentioned paragraph. And it seeks to open horizons to study the Arab cultural project with a renewal vision, in order to read the reality of Arab culture and its future awareness.

This article adopts the method of multi-theoretical clusters as keys to the subconscious secrets, while addressing the most important cultural issues, as well as the mechanisms that affect them from a cultural perspective.
By reflecting on the paragraph "culture and awareness issues" contained in the Intellectual Charter, this article has addressed several sub-questions, the most important of which are:
- What is the concept of culture? and what is its relation to civilization?
- How is the path towards a renewed Arab culture and how to overcome the obstacles and consequences of the past towards a new culture?
- How to promote renewed cultural production in the different fields of culture, arts and creativity?
-What are the mechanisms and strategies to enable the Arab cultural project to achieve sustainable development?
- What are the most important steps to achieve an enlightened cultural project that expresses the capabilities of our Nation?
-What are the frameworks that define the characteristics of this Renaissance project?

The importance of this article lies in the fact that it is the first academic research dealing with the Intellectual Charter of the Institute, and that it focuses on a central question in the project of Arab renewal, which is the culture and its link with Arab consciousness. Multidisciplinary researchers from all over the Arab world in the Cultural Studies Unit of the Institute participated in its realization. We decided to take a multidisciplinary approach towards liberation from the fence of narrow specialization. This participatory approach bets on an equal cognitive dialogue between different researchers. It bets also on the relational dimension of science and knowledge in various fields. Thus, it appears as research workshops open to promising knowledge horizons within the framework of the Institute's strategic research program. The qualitative approach was adopted in the research, so that it can be a reference document to draw the characteristics of culture and its role in the construction of the future Arabic project, to be worked within the Cultural Studies Unit.

Keywords: Intellectual Charter of the Global Institute for Arab Renewal - cultural project - culture and awareness issues - Arab renewal.

تمهيد

إن بناء فكر عربي حديث يجدد قيم الحضارة ويردم الفجوة بين العالم وبين الواقع المعرفي والثقافي العربي، رهين التعامل بالنظرة النقدية والاجتهادية، مما يفرض علينا إعادة النظر في مكونات الثقافة العربية وسبل تعزيزها ومراجعة عملية إنتاج مقوماتها وتعريفها؛ إذ إننا في حاجة ماسة إلى كتابة تاريخنا الذي أصبح مجرد تكرار واجترار لنفس التاريخ الذي كتبه أسلافنا...

ويسعى المشروع التجديدي للمعهد العالي للتجديد العربي إلى تجاوز القائم في الواقع العربي، وبناء وعي ثقافي جديد، يستطيع أن ينقلنا إلى فضاء تنويري يستنهض الهمم ويطمح لتحقيق حلم التطوير والتقدم مع استشراف مستقبل جديد زاهر.

إن أهم ما يتسم به مشروع التجديد العربي هو استلهام القيم والأفكار الناتجة عن محاولات النهوض العربي عبر مراحل التاريخ في جوانبها الروحية والمادية والثقافية وإشعاعاتها في المجتمعات والعصور المختلفة. وقد كُتب لهذه المحاولات النجاح حيناً والتلكؤ حيناً آخر، لكنها ظلت تُعبِّرُ عن حاجة ثقافية عربية لإعادة التأسيس للواقع المعرفي العربي وللوصول إلى هذا الهدف الذي قد يبدو الطريق نحوه طويلاً وشاقاً، نظل بأمَسِّ الحاجة إلى مراجعة نقدية شاملة للمنظومات الفكرية، تستفيد من (مطبات) المراجعات السابقة في إطار محاولات التنوير، وتتأسس عليها.

لعل أهم هذه المراجعات: مراجعة مفهوم الثقافة التي يجب أن تُؤخَذ في إطارها الحديث.. تلك الثقافة التي تتحدد، من منظور الدراسات الثقافية، باعتبارها رؤية ومبدأً للسياسات، بل يمكن القول إن الثقافة هي جملة ما يبدعه الإنسان والمجتمع على صعيد العلم والفن ومجالات الحياة الأخرى؛ المادية والروحية، من أجل استخدامها للإجابة عن الأسئلة الكبرى التي يتم طرحها. ولو نظرنا إلى مختلف تعريفات مفهوم الثقافة الذي أورده معظم علماء الاجتماع لوجدنا أنه لا يخرج عن أنه عبارة عن تلك المعايير المشَكِّلَة لنظام العقل والسلوك في مجتمع ما أو لدى جماعة ما، والتي تحدد نظرة الفرد والجماعة كما تحدد الوعي ونظرة الفرد والجماعة لنفسها وللآخرين. (الحمد، 2012)

الثقافة: الدلالة والصلة

1- مفهوم الثقافة راهنا: فائض الدلالة

أي مفهوم للثقافة؟...

سؤال مركزي تتمحور حوله قضايا جوهرية وتتناسل منه أسئلة مصيرية ترتبط بتعقيدات راهننا الحضاري، بمواقعنا ومواقفنا، أفراداً وجماعاتٍ، من كل (ما يحدث) من تحولات عميقة في علاقاتنا بذواتنا

وبالآخرين خاصة في ظل الاجتياح العولمي الثقافي المُرَقْمَنُ الذي بات يشكل تحديا حقيقيا للمجتمعات البشرية قاطبة. ومن المؤكد أن «مركزية إشكاليات الثقافة في السجالات الدائرة حول مشروع نظام عالمي جديد تشهد على المكانة المتنقلة إلى شبكات وصناعات الثقافة في إعادة تصور استراتيجيات القوة، كما تشهد على جاذبية عالم آخر في التكون، يسعى إلى تصريف أمر التثاقف مع مبدأ المساواة» (ماتلر، 2008، صفحة 15،16). ولعل الحديث عن شبكات وصناعات الثقافة يجرنا إلى الحديث عن الدور المفصلي الذي باتت تؤديه الثقافة بوصفها قوة ناعمة فاعلة من قوى البناء الحضاري في توجيه السياسات والاقتصاديات ورسم معالمها المستقبلية، ولهذا ليس مستغربا أن تشهد صفة (الثقافي) تناميا سريعا ومكثفا، حتى غدت صفة تكاد تكون ملازمة لكل شيء، وصارت استعمالات مثل: السياسة الثقافية، الاقتصاد الثقافي، التنمية الثقافية، المادية الثقافية، السياحة الثقافية، الإمبريالية الثقافية، التعددية الثقافية، التهجين الثقافي، التراث الثقافي، الملكية الثقافية، الإبادة الثقافية..... «تشير كلها إلى استعمال موسع من الصيغة النعتية في لغات أكثر تخصصا وأكاديمية، حتى صارت جميع ميادين المعرفة توصف الآن بكونها ثقافية» (موريس، 2010، صفحة 226،227)، في دلالة واضحة على أننا نقف عند منعطف ثقافي حاسم في الإنسانيات وما جاورها أو تداخل معها من علوم.

يؤشر المنعطف الذي نحن بصدده إلى تحول جوهري في مفهوم الثقافة، في أشكالها وأدوارها، مدخلاتها ومخرجاتها، فقد توسع مجالها ليطال سائر مناحي الحياة اليومية في المجتمعات المعاصرة، أو لنقل أصبحت ركناً ركيناً لا يمكن تجاهله في كل جوانب الحياة الإنسانية– المادية وغير المادية–، بل غدت همّاً حيوياً يشغل العصر الحديث، بما أنها ليست فقط ما نعيش به. إنها أيضا، وإلى حد كبير، ما نحيا من أجله (إيجلتون، 2005، صفحة 168). هكذا، بات واضحا تداخل الوسيلة بالغاية في كل ما يعني السؤال الثقافي؛ فالثقافة هي الأصل وهي المحك، هي ما يحدد أسلوب الحياة في المجتمعات، وهي–بالتالي– ما يخبرنا بقيمة الوسائل والغايات، وهنا مكمن الإشكال على وجه التحديد؛ فالثقافة هي –في واقع الأمر– ما يحددنا ويعرفنا قبل أن نحدده ونعرفه، هي ما يشكل شخصيتنا وسلوكنا وقيمنا ومواقفنا ومعتقداتنا ومعارفنا، هي أكثر بكثير من مجموع تعريفاتها...

ولأن الأمر كذلك، فإن مفهوم الثقافة أصبح من أكثر المفاهيم استعمالا وتداولا وانتشارا في عصرنا الحالي، ومن أكثرها شمولية واتساعا وقابلية لأفكار ومعانٍ مختلفة، متناقضة ومتغيرة باستمرار، فمفهوم الثقافة بطابعه التراكمي التاريخي متعدد الأبعاد، بات بمثابة «قاسم مشترك يؤلف بين عناصر كثيرة يصعب التكهن مسبقا بوجود علاقة ما تجمعها، لكثرة ماهي الاختلافات بينها بادية للعيان: تصورات عن الحياة

والكون والإنسان، سلوكيات بشرية، موضوعات مادية، مهارات وتقنيات، طقوس ورموز دينية، مؤسسات وعادات اجتماعية، آداب وفنون وعلوم، مواقف واستراتيجيات اجتماعية وسياسية... باختصار، إنه يحيل إلى كل ما يمت إلى البشر وعالمهم بصلة؛ مرئيا كان أو غير مرئي، شعوريا كان أو لاشعوري، مستمرا كان أو عابرا، محليا كان أو عالميا، قديما كان أو حديثا» (الدواي، 2013، صفحة 20). وهو ما يؤول إلى القول إن مفهوم الثقافة بات يعاني من كثرة الاستعمالات وتضارب السياقات التي يرد فيها، مثلما تكشف عنه مسميات عديدة يتواتر حضورها واستخدامها في الأدبيات المعاصرة من قبيل: الثقافة الخليعة، الثقافات العرقية، الثقافة السوداء، الثقافات التحتية، ثقافات الشتات، ثقافة الشوارع، الثقافة الجماهيرية، الثقافة العليا، الثقافة التقليدية، ثقافة الشواذ، الثقافة اليومية، ثقافة العنف، ثقافة الأنترنيت، ثقافة المستهلك... وبالنتيجة: لا يتوقف المعجم الإسنادي لكلمة الثقافة عن التوسع، معبرا عن التغيرات والتوسعات والتعقيدات التي ما فتئت تطرأ على المفهوم، ليغدو البحث عن مفهوم للثقافة جزءا من الثقافة.

2- الثقافة والحضارة: إعادة صلة الوصل

إن الحضور القوي والمكثف لمفردة الثقافة، في قلب الجدل الفكري السياسي والاجتماعي، هو حضور ملتبس إشكالي، تؤكده الكثرة الكاثرة من التعريفات التي حاولت، وما تزال تحاول، تطويق الظاهرة الثقافية وتجاوز التعقيدات التي تكتنفها، يقول الطاهر لبيب: مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم تداولا ولكنه أيضاً من أكثرها غموضا وتلونا. وإذا كان كروبير وكلوكهان-عالما الأنثروبولوجيا الأمريكيان- قد صنفا، قبل ربع قرن، ما لا يقل عن 160 تعريفا للثقافة، فإن التفرعات التي تبلورت بعد ذلك تزيد، ولا شك، في عدد هذه التعاريف المقترحة. أمام هذا لا يستغرب، إذن، أن يكون من بين الأعمال الأكاديمية تنحصر في تتبع المغامرة التاريخية لكلمة ثقافة مبينة كيف أصبحت هذه الكلمة ضحية النجاح الذي حظيت به. (لبيب، 1987، صفحة 6). والأكيد أن هذه المغامرة التاريخية ما تزال مستمرة ولكن بوتيرة متصاعدة ومكثفة، كاشفة عن طبيعة التحولات الايتيمولوجية العميقة التي شهدتها مفردة الثقافة، بدءا من أصل الكلمة اللاتيني الذي يحيل إلى الحرث وزراعة الأرض، وصولاً إلى آخر ما يدبج في الأدبيات المعاصرة حول ثقافة الإنسان المعاصر.

والحال أن المناقشة التأصيلية تسهم، بكل تأكيد، في استيعاب مسار التحول الذي شهده مفهوم الثقافة، إذ يتضح لنا أن الكلمة التي دلت، في سياق نشأتها الأصلية، على عملية مادية ملموسة تماما، تتعين في التربية النباتية والزرع، قد وظفت لاحقاً في معنى استعاري للدلالة على التربية والتهذيب والعناية بشؤون النفس والعقل، وهو ما يعني أن الأمر قد يبدو مختلفا هناك من ميدان إلى ميدان آخر، «وكأن

القصد من حصول هذه الطفرة في المعنى هو التعبير عن طبيعة واحدة من أهم الظواهر والفعاليات البشرية الاجتماعية وأرفعها شأنا. وتلك كانت أمارة على أن الوعي البشري أصبح قادرا على إدراك أن "زراعة" العقول وتعهدها لا يقلّن أهمية عن زراعة الحقول» (الدواي، 2013، صفحة ص18). ولعل المعنى الاصطلاحي الأنثربولوجي الحديث للكلمة، هو المثال الأكثر وضوحا وتحديدا لهذه الطفرة. هذا المعنى الاصطلاحي قد أرسيت دعائمه بالألمانية قبل الإنجليزية، بما أن الأنثروبولوجي إدوارد بورنيت تايلور الذي يعود إليه الفضل في التعريف الإناسي الأكثر شيوعا وتداولاً للثقافة، قد استخدم المصطلح متأثرا بعلماء الإناسة الألمان، لاسيما غوستاف كليم. وقد ذهب تايلور في كتابه "الثقافة البدائية"، المنشور عام 1871، إلى أن «الثقافة أو الحضارة هي ذلك الكُلُّ المركب المعقد الذي قد يشتمل على المعارف والمعتقدات والفنون والآداب، والأخلاق والقوانين والأعراف والتقاليد والقدرات، وكذلك على جميع الاستعدادات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في مجتمع معين» (الدواي، 2013، صفحة 22).

وكما هو جلي، فإن تعريف تايلور، المذكور أعلاه، لم يفرق بين مفهومي الثقافة والحضارة، في دلالة واضحة على التعالق الدلالي بين المفردتين، وهو تعالق مستمر وغير منقطع، ما يزال يتيح إمكانية إحلال أحد اللفظين محل الآخر على نحو متبادل، فاللفظان متداخلان متلازمان، وهما يعبران معا عن «مركب واحد من الظواهر الاجتماعية، يمكن النظر إليه من وجهين: وجه مادي ملموس يتعين في المستوى الذي بلغه التقدم العمراني والتكنولوجي عند أمة من الأمم، أو في مجتمع معين وفي حقبة تاريخية محددة، وكذلك في العلاقات الاجتماعية والعادات والمعتقدات، وفي المؤسسات وأنظمة الحكم. ووجه ثانٍ يتجلى في نواحي الإنتاج الأدبي والفني والفكري والعلمي، ومعالم الرقي الأخلاقي والروحي» (الدواي، 2013، صفحة 25).

وعلى الرغم من محاولات طمس معالم هذا التقارب/ التلازم بين المفهومين، إلا أن هذه العلاقة التلازمية التكاملية التي يبرزها المنظور الانثروبولوجي التطوري– ما تزال تحتفظ براهنيتها وأهميتها في عصرنا الحالي الذي بات يعاني من ندرة في الاستعمال القطعي للثقافة باعتبارها معيارا قيميا توجيهيا إرشاديا (موريس، 2010، صفحة 227) في ظل انفلات قيمي وأخلاقي وديني، بدأنا نرصد نتائجه حضاريا، وما بزوغ فكرة موت الحضارة الحديثة (الغربية) إلا انعكاس لواقع ثقافي متردٍ يعاني من انفراط عقد الثقافة، موت الثقافة المانحة للمعنى بعد عجزها عن تحمل أدوارها ومسؤولياتها الإتيقية والمعرفية في مقابل انتشار واسع لثقافة معولمة فاقدة للقيمة والمعنى تسيطر عليها صناعة الترفيه والتسلية بمقوماتها الاستهلاكية التي

توظف الخيال والأوهام والإغراء وتتلاعب بالرموز على نحو يضرب مبدأ الواقع ليستبدله بوهم الواقع. والنتيجة عولمة الاستلاب كأسلوب حياة.

في ظل هذا الوضع الاستلابي المعمم/ المعولم، يغدو من الضروري تجديد الوعي الثقافي وتنميته وترقيته لمواجهة الفوضى الفكرية الأخلاقية والقيمية التي تتنامى وتستشري في بنية الثقافة، من الضروري أن تستعيد الثقافة أدوارها الحضارية في أنسنة الإنسان. من هنا، تبرز أهمية الدعوة إلى إعادة البناء الثقافي وتحصين مكوناته ومقوماته من خلال استعادة الترابط العضوي بين الثقافة والحضارة. وإن مما يؤكد علاقة التلازم بين الثقافة والحضارة، وتجاوب ما تدلان عليه من الناحيتين المادية والمعنوية –من غير إلحاح على الفواصل بينهما– أن الحضارة إذا كانت هي التطبيق المادي للتراث الثقافي؛ فهي من ناحية أخرى– وليدة هذا التراث في البيئة التي تقوم فيها. ثم كذلك إنها المرآة التي تعكس لنا مقومات ثقافة المجتمع وخصائصها العامة (الخطيب، 1979، صفحة 44).

وإذا كنا نلح اليوم على إعادة صلة الوصل بين مفهومي الثقافة والحضارة، فليست الغاية من ذلك تقييد مفهوم الثقافة في أنموذج/ نمط فكري معياري واختزاله في قالب حضاري بعينه، وإنما إرساء دعائم مشروع ثقافي حضاري تنموي شامل من شأنه تحسين شروط العيش الإنساني.

هرمينوطيقيا الثقافة: مقدمة لـ:"ما بعد التحليل

في كل مرة تلبس الثقافة العربية لبوساً غير لبوسها الذي يليق بها؛ فهي تارة تابعة، وتارة تحاول النهوض بأفكار ميتة أو مميتة، تتجه نحو الآخر تارة، وتارة تميل كل الميل إلى الاستشراق والاستعمار وكل ما يجعلنا نستكين دونما تجديد، وذلك دَيدننا منذ قرون. تأسيسا على ذلك تأتي هذه الورقة لتناقش إشكالية من الأهمية بمكان في رأينا، ألا وهي: كيف السبيل إلى ثقافة عربية متجددة؟ أو كيف يمكننا تجاوز عقبات الماضي وتبعياته نحو ثقافة جديدة؟.

أولا: تأسيس نظري

نتطرق في هذا التأسيس إلى ثلاثة عناصر أساسية وهي:

1– الثقافة؛

2– النقد الثقافي؛

3– الهيرمنوطيقا الثقافية.

تعددت تعريفات الثقافة عبر أزمنة سلفت وإلى يوم الناس هذا لا تزال كذلك، وإنما نحن نميل كل الميل إلى أن الثقافة أسلوب حياة وكلٌّ مركَّبٌ تضعف أيّ محاولة في تقليص حجم هذه الفكرة إلى ما هو دون ذلك. ومن أهم التعريفات التي ينسجم وإياها طرحنا تعريفيْ مالك بن نبي ومحمد فتح الله كولن، وهناك تعريفات عديدة تشابه أو تشبه ما جاءا به وإنما نحن نورد هذين التعريفين على سبيل القصر لا الحصر:

1- يقول مالك بن نبي: «فالثقافة إذن إذا ما رددنا الأمور إلى مستوى اجتماعي هي حياة المجتمع التي بدونها يصبح مجتمعا ميتا» (نبي، مشكلة الثقافة، 1984)؛

2- «فالثقافة هي أسلوب حياة، الأسلوب المشترك لمجتمع بأكمله من علمائه إلى فلاحيه.». (نبي، مشكلة الثقافة، 1984)؛

3- يقول محمد فتح الله كولن: «الثقافة طراز وسمة الحياة المعاشة في مجتمع والناتجة من عادات وتقاليد وتربية ولغة وفن ومشاعر ذلك المجتمع، وكل جزء منها قطعة مهمة في الأسس الكلية للمجتمع» (كولن، 2012).

وأما المصطلح الثاني فهو: "النقد الثقافي" الذي اختلفت تعريفاته، وتراوحت بين:

1- نقد للأنساق الثقافية المتسربة عبر الجمال: شعرا كان أو أفلاما أو كل ما ارتبط بالسمعي البصري المُشكِّل للراهن الثقافي المعاصر؛

2- نقد للثقافة وللواقع الثقافي وكل خلفياته الإيديولوجية بصفة عامة.

وهذا التعريف يتعالق مع التعريف الذي تبنيناه للثقافة في بادئ الأمر، وهو ما يقترب منه أرثر أيزابرجر: «النقد الثقافي نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته كما أفسر الأشياء بمعنى أنَّ نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات المتضمنة في هذا الكتاب (أي النقد الثقافي ـ تمهيد مبدئي للمفاهيم الأساسية ـ) في تراكيب وتباديل على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية، وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة، فإنّ النقد الثقافي، كما أعتقد، هو مهمة متداخلة مترابطة متجاوزة متعددة» (أيزابرجر، 2003).

وأما عن مصطلح "هيرمنوطيقا الثقافة" فهو مصطلح تركيبُه إضافي ركَّبناه لأجل أن نشير إلى التأويلات المعاصرة للثقافة وسبل فهمها بالمناهج المعاصرة وإلى الأفهام والتأويلات المختلفة للشائع من الأفكار العربية المعاصرة اليوم، والتي إما أنها تقف عائقا، وإما أنها تقع ضمن "الأفكار المجاهدة"، وهو مصطلح نصطلح عليه في هذا المقام، نصيغه ونحن نريد به: كل الأفكار المقاومة من أجل النهوض. ولا يعني حضور هذه الأفكار أنها صائبة، بل يعني وجود نكران سياسي أو إيديولوجي مجهول وتعطيل لها على أرض الواقع؛ ما يعني: وجود "قهر فكري" يَحُول وتطبيق كل جديد ولو لتجريبه فحسب.

عرَّف هانز جورج غادامير في كتابه: "الحقيقة والمنهج" (1960) الهيمينوطيقا أو التأويليّة، كما يُصطلح عليها أيضاً، بأنها: «فنٌ وليست آلية. وعليه فإنها توصل عملها، أي الفهم، إلى اكتماله مثل عمل فني» (غادمير، 2007)، وفي تعريف آخر أوضح من السابق ورد في كتابه "تجلي الجميل" (1986) أنّ «الفن الهرمنوطيقي هو في الحقيقة فن فهم شيء ما يبدو غريبا وغير مفهوم بالنسبة لنا» (جادمير، 1997).

وجِماع الأمر أننا سنسوق الحديث عن فهم للثقافة ونقد للثقافة بمفهومها العام. ولكن عن أيّ فهم نتحدث؟، وما هو الفهم اللائق لثقافتنا قبل معرفة الثقافة الأليق؟.

ثانيا: هيريمنوطيقا الثقافة العربية

لعلّنا لم نخرج عن ذات المنوال الذي يجعلنا نستكين كل مرة؛ إنّه منوال "الخضوع" ولكنه يغيّر لبوسه دائما، وأشد ما يُبقينا في ذات البوتقة ليس الانحدار إلى الضآلة وحسب، وإنما تكرارنا لنفس الأدوات التي تعطي دائما نفس النتائج ومن ذلك:

1- محاولة تفسير نصوص الماضي بمنوال الماضي دون أدنى طموح للتغيير؛

2- لا نزال نبحث عن الديمقراطية أو بالأحرى لم نتجاوز مرحلة فهمها، وخير دليل كثرة التعريفات والاختلافات حسب النزعات والإيديولوجيات؛

3- الميل إلى السلطة، سواء كانت استعمارية أو ديكتاتورية أو نفسية (مصلحية) أو إيديولوجية (الولاء للحزب أو التعصب الحزبي)؛

4- عدم مواكبة الثقافة المكتوبة للراهن الثقافي أو ما نصطلح عليه بالتقليل من قيمة المؤسسة الجامعية وعدم تواشج علاقتها بالسياسة كما هو مطلوب في أي نموذج ينشد التنمية المستدامة؛

5- الذوبان في الآخر أو ما اصطلحنا عليه بـ"الذل الثقافي" لا سيّما حينما يكون لدينا البديل ونحاول فرض الفكرة الغربية؛

6- عدم وجود بديل حقيقي في: التأليف والصناعات والتكنولوجيات والإيديولوجيات والأشخاص والأحزاب ومناهج الفهم والتعليم... بمعنى تكرار الماضي بكل مقاييسه.

ثالثا: ما بعد هيرمينوطيقا الثقافة

إن الأسباب عديدة ولا تحصى وتأويلها يستلزم تجند المفكرين وجمع طروحاتهم وإعادة قراءتها، ولعل أهم الإشارات التي تحمل في ثناياها حلولاً ما ذكره علي شريعتي حين أشار إلى ضرورة تحرك المثقفين لأنهم يمثلون أنبياء الأمة الجدد، إذ قال: «إنّ مسؤولية المثقف في زمانه هي القيام بالنبوة في مجتمعه حين لا يكون نبي ونقل الرسالة إلى الجماهير ومواصلة النداء نداء الوعي.» (شريعتي، 2007).

ومن المهم كذلك أن نذكر لفتةَ عبد الوهاب المسيري عندما سئل عن دور المجتمع في حماية نفسه إزاء الغزو العولمي فقال :«يجب علينا جميعاً، أفرادا وجمعياتٍ، أن نقاوم كل في مجاله.. ينبغي على الأفراد أن يزيدوا من وعيهم وأن يدركوا تبعات النماذج المستوردة، كما ينبغي أن ندرك أنه لا بد من ممارسة الضغط على النخب الحاكمة لتغير من اتجاهاتها التغريبية من خلال تكوين جماعات مدنية معارضة.» (المرجع)، إن المسؤولية جماعية وليست فردية فقط.

وأما استراتيجيا فقد أشار هشام جعيط إلى أنه بعد انهيار العالم الشيوعي من الضروري أن يحصل وعي لدى العرب والمسلمين جملة بوجوب عدة تغيرات: (زعيط، 2000)

- الدخول في تركيبة سلم داخلية وخارجية؛
- استبعاد الأوهام والدخول في تحولات هادئة من الوجهة السياسية والاقتصادية؛
- تطبيق مفاهيم الديمقراطية في الواقع.

وهي عناصر مهمة لاسيما وأنه توفر الاستقرار قبل الانطلاق نحو تجديد ديني أو فكري من شأنه أن يصنع ثقافة جديدة.

يورد معجم العلوم الإنسانية مصطلحاً مُهماً يتعلق بالتحليل ألا وهو: **ما بعد التحليل** Méta– analyse ويعرفه بأنه: «طريقة في التحليل تقوم على إبراز نتائج العديد من الأبحاث التي تتم على موضوع واحد وعلى مقارنتها بهدف استخلاص النتائج التأليفية» (دورتيه) وبالتالي فإنَّ "ما بعد التحليل" يركز على النقاط الآتية:

1/ ملاحظة نتائج الأبحاث العديدة على موضوع واحد؛

2/مقارنة نتائج الأبحاث العديدة على موضوع واحد؛

3/هدف ما بعد التحليل: استخلاص النتائج التي تؤلف بين هذه الأبحاث من أجل طرح النموذج الأمثل.

ونحن نسوق هذا الطرح من أجل أن نلفت الانتباه إلى ضرورة تحليل التحليل وأهمية ما بعد التحليل وفهم ما جاء به هؤلاء المفكرون كي نخضعه للتطبيق.

من أهم النتائج التي تخلص إليها هذه التأملات:

- ضرورة مراجعة النماذج المشابهة لنموذج أحمد بن حنبل وابن رشد ومن شابههم في المحن الثقافية من معاصرينا (نصر حامد ابو زيد) فخلفهم توجد نواصب عدائية للفكر والثقافة؛

- أزمتنا ليست إيبيستيمولوجية منحصرة في قضية العقل والنقل فقط، وإنما تتجاوزها إلى الإيديولوجيات والاستغلال الخارجي والداخلي لهذه الآليات اللغوية والنقلية؛
- النقد الثقافي قسمان: نقد للجمالي ونقد عام يمكن للنقد الثقافي الجمالي أن يهتم بالنصوص والأفلام وما شابهها ولكن دونما إهمال للنقد الثقافي العام المهتم بالإيديولوجيات وبسيرورة الحياة الثقافية بسلوكاتها الاجتماعية والفردية؛
- يأتي دور ما بعد التحليل في هيرمينوطيقا الثقافة باعتباره عنصرا ثانيا بعد النقد الثقافي العام الذي يقدمه كبار المثقفين أمثال عبد الوهاب المسيري وهشام جعيط وغيرهم، وكل أولئك يحتاج إلى المراجعة؛ فالثقافة في حالة تغير مستمر.

الفن والإبداع المتجدد في ثورة ثقافية تنويرية

يبدو أنّ الضرورة تحتم على الباحث دراسة بعض إشكاليات تتعلق بالثقافة العربية وطرق تطويرها ونشرها في الأوساط العالمية. هذه الضرورة نابعة من أهمية هذا الفعل للثقافة وتجديدها وسريانها، داخلياً وخارجياً، كي تقول صورة العرب كما ينبغي أن تكون عليه. لقد شهد المجتمع العربي تراخياً فكرياً وعلمياً وثقافياً أثر على المردود العلمي والعملي وسلوكيات الفرد، كل هذه المعطيات نابعة من حالة التراجع الحضاري متعددة الأسباب والمتواصلة لقرون طويلة وكحصيلة لمخططات التجهيل والتفقير الفكري والعلمي الذي تشهده الدول العربية والمجتمعات الإسلامية على وجه الخصوص.

إن انطلاق ثورة ثقافية تنويرية في أعماق المجتمع العربي تتصدى لمخطط التجهيل والتفقير الفكري والقيمي والفساد الذي يجري تنفيذه اليوم في البلاد العربية، وتعزيز الإنتاج الثقافي المتجدد في مختلف مجالات الثقافة والفنون والإبداع مع اتسام ذلك بالفاعلية، لبناء الوعي الثقافي العربي بآفاق التطور وممكناته هي أمور ترقى لمرتبة الحاجات الوجودية.

كيف يمكن التصدي لمخطط التجهيل والتفقير الفكري والقيمي والفساد الذي يجري اليوم تنفيذه في البلاد العربية؟، كيف يمكن تعزيز الإنتاج الثقافي المتجدد في مختلف مجالات الثقافة والفنون والإبداع؟... هي أسئلة تتشكل على هيئة تحديات واسعة وعميقة.

يبدو أنّ الموقف العام يتمثل في محاولة تعطيل العملية الثقافية المعرفية العلمية في العالم العربي وتبدو الغاية القصوى من ذلك هي حشر الإنسان العربي في زاويتين: زاوية العجز عن الإبداع الفكري والفني والعلمي وزاوية قتل ما فيه من قدرات ذاتية، وكذلك المجتمع العربي بأكمله في منهج مدروس، حتى يكون

عالة وحتى يبقى في دائرة من لا يفهم ما يدور حوله من أحداث: تجهيل وتفقير فكري وقيمي: ثلاثية بالغة الدلالة في علاقتها بالفرد والمجتمع.

عملية تجريد ممنهجة من كل وسائل النمو والتطور والقدرة على الفعل: فعل التلقي المعرفي العلمي وفعل الإبداع الوجودي بكل أشكاله. يجري هذا الموقف على معنى ما به نعالج هذه الإشكاليات. وهي بالضرورة إشكاليات حقيقية تقتضي البحث والتقصي في طبيعة الوضعية، بصورة عامة، وسبل تناولها بالتحليل والاستنتاج اعتماداً على عينات ملموسة في مواقع معنية من البلاد العربية، وذلك بصورة دقيقة ومحددة بصورة خاصة. وقد اعتمدنا في هذا البحث العناصر التالية:

1. بحث في أعلام العرب تاريخياً:

إن ظهور هذه الطوائف من رجال الثقافة العلمية الحديثة في البلاد العربية، عامة، له أسبابه وسياقاته؛ فالمجتمعات العربية عرفت أنشطة مختلفة أهمها الأنشطة التجارية والحركات التي جدت وأهمها حركة الترجمة: ترجمة الآثار الإغريقية واليونانية وترجمة العلوم على اختلافها؛ ومنها علوم الهندسة وعلوم الحياة والطب والفلسفة وكتب الأدب وخاصة منها العربية، وأَثْرَوا بها ثقافتهم، وكانت لهم منها لبنات واضحة في آثارهم وفنونهم. ولعل وعيهم بقيمة ذلك هو الذي جعل مسار التطور حافلا بالإسهامات التي استرعت انتباه الدارسين المستشرقين على وجه الخصوص؛ إذ انتهوا في بحوثهم إلى الكشف عن قيمة العلم والعلماء وعن قوة الحضارة العربية وتأثيرها في ثقافتهم. نذكر من ذلك كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب– أثر الحضارة العربية في أوروبا" للمستشرقة الألمانية "ريغريد هونكة". في هذا الكتاب بحوث موثقة في الحضارة العربية وعرض لقائمة من العلماء نذكر منهم: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، وقد سماه الغرب rases، وكان يلقب بأحد أعظم أطباء الإنسانية وكان يعرف بطبيب الفقراء، ونذكر ابن سينا أو الشيخ الرئيس وكتابه "القانون في الطب" وهو كتاب ضخم يقع في ثلاثة أجزاء ومقدمة. وضع فيه صاحبه قواعد علوم الجراحة، وسجل فيه الدورة الدموية: الصغرى والكبرى. وفي علوم الرياضيات نذكر جابر بن حيان واضع علم الجبر وأبا بكر الخوارزمي واضع جداول الخوارزمي، والحسن بن الهيثم وكان عالما موسوعيا: فهو عالم في الرياضيات وفي علوم الحياة، وهو أول من شرح العين البشرية ووضع لأجزائها أسماء بلسان العربي، وهو الذي وضع نظرية الأبصار، له كتاب "تنقيح المناظر"، وأحمد بن الجزار، وكان طبيبا وصيدليا، له عدة مؤلفات منها "الغرض من سياسة الصبيان" وكتاب "الاعتماد في الأدوية المفردة" وكتاب "الاعتماد في الأدوية المركبة". وكان شرط العالم أن يكون موسوعي الثقافة؛ فهو فيلسوف وعالم في الرياضيات وعالم في التاريخ وسائر العلوم الأخرى، ذلك أن الوجهة كانت في غير اختصاص معين، فقد كان الرأي السائد آنذاك

إنما هو الرأي الذي يعد التجلي الموسوعي أولا، وهو الاتجاه الذي يكسب العالم صفته العلمية المميزة. " (هونكه، شمس العرب تستطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبة، 1981)

ضمن هذا الاتجاه برز أعلام العلم وقاماته في فروع المعرفة كافة عبر العصور الطويلة، فكان حضورهم لا يقتصر على الإسهام، وإنما تجاوز ذلك إلى الإنشاء والتأسيس المميز. هذا الوضع هو الذي سجله التاريخ وشهد به وله أجيال تعاقبت على كشف كنوزه وبلورت تجلياته وأبعاده العلمية أكاديمياً؛ فكانت "بغداد عاصمة الدنيا"، بها ينزل طلاب العلم في مختلف مراحله وخاصة منها مرحلة الاختصاص. وإذا قلنا إن ذلك الوعي قد بدأ مع حركة الترجمة، فإن ذلك يعني أنها كانت أداة لنقل التراث اليوناني والإغريقي والفارسي: ترجموا أعمال جالينوس ودسكور يدوس (هونكة، 1981)289) وغيرهما ممن يشهد لهم التاريخ بالتفرد والتميز المعرفي العلمي. وأهم ما كانوا يتميزون به الجانب التجريبي الآني، والبحث الآني، والمعالجة الدقيقة والفورية: فلا شيء يحددهم أنجع من إخضاع التجربة إلى مقاييس الزمن القصير" وقد كان ذلك من الظواهر البارزة.

تميز العرب في كل المجالات العلمية والفكرية، حتى أنهم تفردوا فنيا في عدة مجالات منها: الفن المعماري وفن الخط العربي وفن النقش والزخرف وصناعة الأثاث وغيرها من الفنون العريقة والمتأصلة. سجل العرب حضورهم في أوساط العالم الغربي وكان لهم الفضل في تطوير الفكر الإنساني.

2. سبل التصدي لمخطط التفقير الفكري والتجهيل: مقاربة لدور الفن

إن محاولة التفكير في طرق وسبل تفادي التفقير الفكري للمجتمعات العربية والإسلامية يبدأ أولا بضرورة الوعي بالأسباب البنيوية والموضوعية التي تنتج الفقر والتفقير، وما يترتب عنها من خراب وإفساد للحياة والقدرة والتحقق؛ من ذلك كان لا بد لنا من التفكير جيدا في طرق وآليات تنوير العقول وتنمية الوعي الفكري بمكونات الهوية الذاتية وعلاقتها بالهوية الجماعية وعلاقتها بالهوية الكونية في أدق معانيها دون الانصهار الكلي على حساب الخصوصيات المميزة لكل مجتمع ولكل ثقافة علمية إبداعية، إضافة إلى ضرورة تربية الإحساس بقدرة الذات الثقافية على الفعل المؤثر وقوامه وقدراتها الموضوعية والمجازية، ومن هذه القدرات ما تتحدث عنه الدراسات العلمية "عن الذكاء الاصطناعي" ومقاييس النبوغ والتفرد "المبكر" الذي على أساسه يتم انتقاء "القدرات" الواعدة علميا وإبداعيا، وليس هذا حكرا على مجتمع دون آخر وقد أجمل هذا الرأي أحد المفكرين فقال: "لا تقل إنهم أقل ذكاء منا وإنما قل إنهم لم يتعلموا ما تعلمناه".

ومن أوكد الحاجات التي يجب العمل على تحقيقها هي تنمية الثقة بالذات في علاقتها بالذكاء الاصطناعي ودوره في إفراز "العبقرية التي بها يكون وضع القدرة على الخلق والابتكار، وقد سجل ذلك واحد من علماء الفيزياء النووية في العصر الحديث فقال عنها: "إن القدرة على بنية الخلق تعني مجال

مخادعة الذكاء". هذه القدرة على المخادعة هي التي توجه عملية الإبداع في أي مجال من مجالات الثقافة العلمية ذات القدرة على "نحت الكيان" وتأصيله، وهي المعيار الذي به تقاس "منزلة الإنسان الوجودية. وقد أكد ذلك منذ زمن غير بعيد أحد أعلام الفكر والفن في تونس حين قال: "وجود الإنسان على قدر عقله"؛ فقدرة العقل على الفعل، من جهة، وعلى التأثير، من جهة ثانية، وعلى التوجيه الموضوعي النسبي، من جهة ثالثة، هي ما يميز صاحبه في عمله عن غيره وهي التي تسمح له بالتدرج المعرفي العلمي وبلوغ منازله العليا. وما يميز العرب عن غيرهم هو قدرتهم ووعيهم بأهمية العقل؛ فقد "لجأوا في بحوثهم إلى العقل والملاحظة وإلى النظر المحقق والحث المستقيم" (زيغريد،هـ.1981. 269). وللكفاءات مكانها عندنا في العصر الحاضر كما في العصور القديمة؛ والمثال على ذلك عالم نابغ في الرياضيات وأحد المساهمين الباحثين في معالجة مسائل ظلت بلا حل على مدى عصور طويلة، هو البروفيسور "نادر المصمودي[i]" الذي أصبح عضوا في الأكاديمية الأمريكية للفنون" كان عطاؤه ولا زال بلا حدود، وشغفه لا يتوقف، همه تحليل المسائل الرياضية، وحبه للهندسة جعله يتصدر لوائح المتميزين علميا ومعرفيا، وحصوله على العديد من الجوائز جعلته محط أنظار العالم كله. هو أحد أبناء الوطن العربي، كغيره من الباحثين في مجال الرياضيات كالبروفيسور "حاتم الزعق" و"سليم بلحائزة" وغيرهم في مجالات الفنون، وفي الأدب كمحمود المسعدي، وفي الحضارة مثل الدكتور محمد الطالبي والتاريخ مغتربون...

3. سبل تعزيز الإبداع المتجدد

إن سبل تعزيز قيمة الخلق والإبداع تبدأ من خلال التعويل على الذات في مستوى وضع البرامج التعليمية وفي مستوى بناء طرق إنتاجها بما يضمن نجاعتها العلمية والتربوية. والانفتاح على مراكز الإبداع المتميزة والاستفادة منها في جميع المجالات الفنية والثقافية والإبداعية العلمية. يقودنا ذلك إلى ضرورة السعي إلى الجمع بين القدرة على الإبداع الفكري والعمل الفني، بمعناه الصناعي وفروع اختصاصه التي لها صلة مباشرة بالحياة العامة. ومن أوكد الحاجات هي جعل الغاية تنمية "الإنسان العربي" والسمو به إلى أرقى المراتب والانتقال به من مراحل التلقي إلى مراحل الإنتاج المعرفي "التطبيقي" مع الحفاظ على نسق "الحضور العالمي وذلك بالمشاركة في التظاهرات والمنتديات العلمية التي تعقد في أنحاء العالم والإسهام فيها بتقديم "محصول تجارب" منجزة، معرفيا وتجريبيا أكاديمياً، واعتماد الطاقات الناضجة والندوات الخبرية التي ترسخت في الزمن التاريخي وبرزت نتائج أعمالها في مستوى مرجعيات البحث وسبله وتطويرها باستمرار.

ركزنا في هذا المجال على ثلاث عناصر أساسية، تناولت في الأول تاريخية المعرفة وتشعب فروعها واتجاهاتها وتأثرها بحركة الترجمة التي كان العامل الأساسي في نشأتها كبير. وفي مرحلة لاحقة حاولنا

عرض جملة من المقترحات التي يمكن اتباعها للتصدي لمخططات التفقير الفكري والتجهيل وعرض محصول تجليات حضور أعلام بارزين في العصور الحديثة في مختلف البلاد العربية. وقد ذكرنا أسماء سطع نجمها واستفاد منها الغربيون استفادات كبيرة في مجالات تجمع بين النظري والتطبيقي والعملي الفاعل –لكن ذلك–لو تحولنا بهذه الأنشطة إلى البلاد العربية يبقى مرهون بأمرين اثنين:

- ✓ توفر الإرادة السياسية الصادقة من أجل ذلك؛
- ✓ حشد الإمكانيات اللازمة للإنجاز وجعل الفكر والعلم والثقافة والإبداع، بكل أشكاله، من الرهانات التي لها علاقة بتنمية "الإنسان" في البلاد العربية لا على أنه إنسان وإنما على أنه "الكيان" القادر على أن يقوم بدور مميز في تنمية المجموعة شيئاً فشيئاً؛ معنى ذلك أن العالم أو المفكر" أو المبدع هو العنصر الموجه للمجموعة وذلك بتنمية "الذوق" و"صقل" المواهب وتشجيع المبادرات والبحوث الرائدة.

بهذا أو مثله لا نقع في "التقبل" و"التبعية" وإنما نرقى إلى مراتب ملائمة من التحقق في الحياة، والتعبير المناسب عن الذات، والتكيف البناء مع المتطلبات، والانفتاح الممتليء على العالم والآخرين وتحقيق محترمية ملموسة في الوجود.

سؤال التنمية المستدامة في المشروع الثقافي العربي الجديد

الحديث عن المشروع الثقافي الجديد يستدعي منا وقفة تأمل متأنية نتوخى من خلالها معرفة مدى قدرة هذا المشروع في إرساء أسس تنمية مستدامة تتجاوز أسباب فشل المشاريع التنموية السابقة في التخفيف من حدة التمايزات الاجتماعية والفوارق الاقتصادية.

هو إذن حديث عن إمكانية حضور أو غياب الأمة العربية في سياق كوني يعيش أرقى مستويات الحداثة والعصرنة على جميع المستويات والأصعدة، وعليها مجاراة إيقاع هذا التحول كيفما كان سلم نموها وتطورها، وإلا ستبقى على الهامش.. هو حديث عن مؤْقَعَة التنمية في سياقها الصحيح الذي لا يقف عند حدود تحقيق منافع اقتصادية ومادية، لكن يتعداها ليجعل من الثقافة الإنسانية رافدا أساسيا لها، ومن العلم والمعرفة أحد أدواتها في بناء مفاهيم تتوافق وخصوصية اللحظة التاريخية، وتؤسس لعلاقات جديدة بين الأفراد والمجتمع، عبر تقديم إجابات مقنعة وناجعة لسائر الإشكالات التي تطرحها المرحلة الراهنة.

وهنا نعيد طرح السؤال مع الباحث السوسيولوجي (بلقزيز عبد الإله، 2018) لماذا تأخر الحديث عن البعد الثقافي في إرساء دعائم التنمية المستدامة، في الوقت الذي كثر فيه الحديث عن الأمن الاقتصادي

والأمن الغذائي والأمن العسكري، كمخرج من الأزمات التنموية التي تعيشها المجتمعات العربية في مواجهتها لسيرورة التحول؟، وماهي الآليات والاستراتيجيات الممكن الاعتماد عليها لتمكين المشروع الثقافي من تحقيق شروط التنمية المستدامة؟، وهل من آفاق لجعل المشروع الثقافي العربي بديلا حضاريا أكثر وفاء للخصوصيات الحضارية العربية التي تكسر قيود المفاهيم النمطية للتنمية التي عطلت مسار التحديث والتجديد؟...

لتعميق رؤيتنا في الموضوع، سيتم التركيز على محورين أساسيين:

- **المحور الأول:** سنتناول فيه الملامح التنموية للمشروع الثقافي العربي والآليات المعتمدة في تفعيله؛
- **والمحور الثاني:** سنركز فيه على آفاق هذا المشروع باعتباره بديلا حضاريا لا مناص منه في ظل التحولات الكونية التي تعيشها الأمة العربية.

1- الثقافة والتنمية المستدامة أي علاقة؟:

تعد الثقافة أحد الأسلحة الناعمة والمؤثرة في عملية التنمية بمفهومها الإنساني الشامل والمستدام، ومن الصعب توقع تحقيق تنمية مستدامة بمعزل عن الثقافة، فهما وجهان لعملة واحدة (شعبان، 2018). إن الربط بين الثقافة والتنمية المستدامة بأبعادها المادية (الموارد الطبيعية بصنفيها المتجدد وغير المتجدد) والفكرية (مقومات الأفراد الفكرية والمعرفية) والروحية (التوازن العادل بين الروح والمادة) أملته ضرورة القطع مع المقاربات التقليدية للتنمية الذي بلورته الطروحات الاقتصادية والاجتماعية الغربية التي ظلت معتمَدَةً من قبل المجتمعات العربية إلى حدود خمسينيات وستينيات القرن الماضي. هذه المقاربات التي لم تعمل إلا على ضمان المصالح الغربية في دول الأطراف؛ بما فيها استغلال مواردها الأولية، وجعلها سوقا لترويج فائض إنتاجها، وتكريس تبعية هذه الدول لمراكز القرار وكذلك توسيع الهوة بين أفراد المجتمع الواحد، وهي حقيقة أدركها الباحثون العرب طوال العقود الموالية، حيث أكدوا أنه من الممكن لدولة ما أن تعرف نموا اقتصاديا سريعا، لكنها تبقى في دائرة التخلف مما عزز القناعة أن التنمية الاقتصادية وحدها غير كافية لخلق شروط تنمية مستدامة ومتوازنة وعادلة ومنصفة لأفرادها. وكان هذا حافزا لإعادة التفكير في مسألة التنمية بمفهومها التقليدي، فحسب الباحث (Abdelkader sid Ahmed, 1999)" تمت مراجعة المنظور التنموي التقليدي، الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية، لأنه تم التخلي عن الآليات الاقتصادية المحضة، كآليات تمكن وحدها من بلوغ التنمية، لكون النمو الاقتصادي مشروط بتنمية جوانب أخرى". ويؤكد هذا، أيضاً، ما جاء في أطروحة (فراعي عبد السلام، 2002): "لقد تبين أن المقاربة الاقتصادية للتنمية، التي تركز على كل ما هو مادي واقتصادي عاجزة عن الإلمام بالظاهرة، نظرا لكونها اختزالية وجزئية، لذلك

ينبغي البحث عن عوامل أخرى غير اقتصادية منسية أو مسكوت عنها". وهو ما لا يعدو أن يكون، حسب الباحث حليم عبد الجليل، مجرد نموذج تقنو–اقتصادي، يعمل على إقصاء البنى الفكرية المكونة لهوية المجتمعات عادّا إياها سببا جوهريا في الإبقاء على وضعية التخلف (حليم عبد الجليل، 1996)

كان هذا الوضع مدعاة لبروز فلسفة جديدة في مجال تدبير الشأن التنموي، ترتكز على المعطى الثقافي باعتباره حجر الزاوية في إرساء ركائز تنمية مستدامة منصفة لأفرادها، وبموارد وإمكانيات محلية، اختيار يجعل الإنسان في صلب الاهتمام، عبر تلبية متطلباته الآنية وتأمين حاجيات الأجيال اللاحقة. وتقدم لنا الصين، كبلد أسيوي، النموذج التنموي الناجح الذي رسخ ودعم فكرة أن الإنسان، باختلاف مرجعياته، هو محور التنمية وأداتها وهدفها. هذا الدور الذي تزداد فاعليته في محطة الأزمات كتلك التي يعيشها العالم بأسره جراء كوفيد 19 وما أفرزته من تداعيات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي أصبح الرهان في تجاوزها قوياً على الإنسان.

والجدير بالذكر أن التنمية المنشودة تبقى رهينة طبيعة الثقافة السائدة التي توجهها مقاييس عالمية بالنظر إلى اتساع مظاهر الترابط في عالم يعمل ضمن شبكة متداخلة من العلاقات التفاعلية يستعصي التحكم في مسارها، ما يجعل الرهان قويا على المؤسسات الصانعة للثقافة على غرسها في الواقع المجتمعي وتطويقها وتحصينها من الذوبان في الثقافات الطاغية، علما أن الرفع من إمكانية الممانعة والرفض للانصهار في ثقافة الآخر لا يتوقف على عمق الثقافة والقوة الكامنة بداخلها، حسب الدكتور عبد الإله بلقزيز، وإنما يتوقف على القوة الوسائلية والمؤسساتية، بما فيها مؤسسة الأسرة والمدرسة والمؤسسة الإعلامية، هذه المؤسسات التي مكنت الأمة العربية وعلى مدى عدة قرون من الحفاظ على قيمها وعلى إعادة إنتاجها بشكل متحكم فيه، إلا أنه مع سياسة الانفتاح التي يسرتها وسائل الاتصال والتواصل عطلت وظائف هذه المؤسسات. وبما أن مشروع التجديد العربي المتوخى والمتطَلَّع إليه كبديل حضاري لا يقوم به الأفراد وحدهم، وإنما توكل مهمة النهوض به إلى المؤسسات، ما يجعل من مسألة إعادة تأهيلها ومدها بمستلزمات التحديث والتجديد أمرا مستعجلا؛ باعتبارها البوابات الرئيسية التي تلج عبرها الثقافة إلى الفرد قبل المجتمع (ساسي سفيان، 2010).

2–نحو مشروع ثقافي وبديل حضاري تنموي بروح عربية متجددة:

إذا كانت المشاريع الثقافية التنموية السابقة قد استمدت روحها ومضامينها بتوجيه من الفضاء الفكري الخارجي، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، باعتباره الأقدر على حل أزمات الواقع العربي. الآن أصبح لزاما طرح بدائل حضارية بمقومات عربية ذاتية، (نادية مصطفى، 2016) تتوخى الارتقاء بالمشهد الثقافي

العربي المعاصر من وضعية التلقي السلبي إلى وضعية التأثير الفاعل، عبر تمكين المنظومة الثقافية من آليات الصمود تجاه المتغيرات والتطورات الكونية التي لا زلنا نعيش تحت تأثيرها. كذلك، إذا كان نجاح المشروع الثقافي الجديد يرتهن إلى الإمكانات والمقومات الذاتية والمستقلة للأمة العربية، فإن البديل الحضاري هو الآخر لا يتشكل من فراغ بل يستند لنفس المرجعية، باعتباره سيرورة تاريخية معقدة وخاضعة في تكوينها لعوامل عدة ينبغي أن تتفاعل وتتكامل حتى تتأسس البوادر الأولى لهذا المشروع، لذلك يصعب الحديث عن البديل الحضاري العربي في غياب التجديد الثقافي والفكري، ولنا في دروس التاريخ خير دليل عن ذلك؛ فالنهضة الأوربية في العصر الحديث لم تتضح معالمها إلا مع الثورة الفكرية والثقافية التي قادتها أوروبا والتي جرفت معها رواسب التخلف وفسحت المجال للبناء الحضاري برؤى تجديدية (محمد محفوظ، 2019) قياسا على ذلك فتطلعات البديل الحضاري العربي تبقى آمالا موقوفة التنفيذ إذا لم يتم تجديد الحياة الثقافية بروح وطاقات عربية، يدعم هذا ما ذهب إليه الباحث محمد محفوظ في مقاله: "إذا أردنا أن تكون الأمة العربية رقما صعبا ومؤثرا فعليا في الساحة الدولية فالحاجة ماسة إلى التجديد الثقافي الذي يصقل المواهب ويبلور الطاقات ويستوعب الإمكانات" (محمد محفوظ، 2019). كما لا يفوتنا أن نؤكد أن التجديد الثقافي العربي الذي يشكل العملة الضابطة لتوازن البديل الحضاري هو الذي يتخذ من الإنسان محور اهتمامه وانشغالاته في إطار مشروع تنموي مستدام يتجه إلى صقل طاقات الإنسان ويؤهلها ويوجهها للتفاعل مع مسيرة التطور الحضاري باعتبارها الهدف المرتقب من مشروع التجديد الثقافي والفكري. وحسب (نبيل علي صالح، 2014) أن نجاح المشروع الثقافي واسترجاع مكانته الحضارية في منظومة ثقافية شاملة تكمن في العمل الدؤوب على إيجاد المناخ الصحي اللازم لإعادة التوازن للمنظومة الثقافية، وذلك عبر مراجعة واعية لمنظومة القيم والمعايير الناظمة لحركة هذه الثقافة وإعادة ضبطها وصياغتها وفق معطيات الواقع المعاصر (نبيل علي صالح، 2014).

لهذا كله، فالانطلاق الفعلي للمشروع الحضاري هو التجديد الثقافي، ولكي تؤدي الثقافة دورها المراهَنُ عليه فالحاجة ماسة إلى بعث روح جديدة في الطاقات البشرية التي ينبغي أن تستفيد من برامج تنموية مستدامة تخلصها من رواسب التخلف وتستنهض طاقتها الإبداعية حتى يتجدد فهمها للواقع وتحدياته بشكل سليم.

يمكن القول إن المشروع الثقافي العربي الجديد تعثره العديد من العوائق من الداخل والخارج والتي يستعصي فهمها بآليات التفكير التقليدية، ولكي يسترجع عافيته كمنهج يستند على رسالة إنسانية ترتكز على مقومات الفكر والثقافة وتتوخى الدفع بعجلة التنمية المستدامة، عليه تغيير بوصلة التفكير من خلال

الاستمرار في المراجعة النقدية الشاملة والواعية لمنظومة القيم والمعايير الناظمة لهذا المشروع وفق معطيات الواقع المعاصر وبرؤية ذاتية ومستقلة. (نبيل علي صالح، 2014)

كما يقتضي البديل الحضاري ترتيب البيت الداخلي الذي يقتضي استيعابا جيدا لطبيعة المشاكل والأزمات التي يعيشها الوطن العربي وبالتالي إيجاد الحلول الممكنة والناجعة لها، بدل الحديث بلغة المؤامرة التي يقودها الآخر المختلف عنا والتي تكبل كل مبادرة تجديدية، والعمل على بناء الإنسان عبر تمتيعه بفكر حر وسليم يسهم في مسلسل التنمية التي هي منه وإليه. وبالتالي الانخراط في العالم الحديث الذي لا يمكن أن تتحرك مفاعيله الصحيحة حسب الباحث نبيل علي صالح بدون استيعاب صحيح لما هو في الداخل.

العقلانية والتنوير واستحضار متطلبات الأنا والآخر

مع كل ما تواجهه مهمة البحث عن مشروع ثقافي عربي، من تحديات، فإنها بلا شك مهمة جسيمة، لا تكفي معها النوايا والامنيات، بقدر ما تحتاج إلى ما يمكن وصفه باستراتيجية كبرى للنهوض الثقافي العربي، تقوم على تفكيك الواقع الثقافي العربي، والعودة به إلى عناصره الأولى وجذور مكوناته المعرفية والتاريخية والاجتماعية.

ولعلها ليست المحاولة الأولى ولن تكون الأخيرة على طريق الوصول إلى نهضة معرفية حقيقية، تستحضر عوامل الإشراق الثقافي والعربي وتوظفها في إطار المتغيرات المعاصرة المختلفة، والتكنلوجية منها على وجه الخصوص، للخروج بخارطة طريق للنهوض والتجديد في مجمل الخطاب الثقافي العربي.

لقد تعددت أوجه وصور محاولات النهوض العربي منذ القرن التاسع عشر إبان حركة النهضة العربية أو اليقظة العربية أو التنوير العربي (نوار، 2002)، كُتب لهذه المحاولات النجاح حيناً والتلكؤ حيناً آخر، لكنها ظلت تُعبّر عن حاجة ثقافية عربية لإعادة التأسيس للواقع المعرفي العربي.

وللوصول إلى هذا الهدف الذي قد يبدو الطريق نحوه طويلاً وشاقاً، نظل بأمّس الحاجة إلى مراجعة نقدية شاملة، تستفيد من (مطبات) المراجعات السابقة في إطار محاولات التنوير، وتؤسس عليها، وفي المقدمة منها ما يلي:

- إعادة قراءة التراث العربي، قراءة علمية ابستمولوجية واعية متحررة من العقد والاحباطات، متخلصة من فوبيا مستديمة لطالما عانى ويعاني منها المثقف العربي، عندما يتعلق الأمر بنقد الماضي والتحدث صراحة وبصوت عالٍ عن الأخطاء و(الكبوات)، وحسم خيار مرجعياتنا المعرفية التي طالما ظلت إحدى أبرز

المشاكل الفكرية التي نعاني منها في ثقافتنا المعاصرة، والتي ميّزها محمد عابد الجابري عندما قال: "سنكون مخطئين إذا نحن اكتفينا بالتمييز بين مرجعيتين فقط في هذه الثقافة: مرجعية تراثية، عربية إسلامية، ومرجعية عصرية أوروبية (....) فإن هنالك مرجعية ثالثة، هي مزيج بين المرجعيتين، التراثية والأوروبية، وهي المرجعية التي أصبح يشكلها فكر ما نسميه اليوم بعصر النهضة العربية الحديثة" (الجابري، 2012).

-التخلص من الغطاء الثقيل لكوابح طالما حالتْ بين المثقف العربي، وقراءته الواعية للتراث، وهذا لا يعني بالطبع رفض هذه الكوابح بجملتها وتفصيلها بقدر ما هو إزاحتها جانباً لتحرير العقل الثقافي العربي من محدداتها الصارمة للوصول إلى رؤى واضحة تحظى بأكبر إجماع معرفي ممكن، يستند إلى إيمان راسخ بالفكرة القومية العربية بمعناها الحضاري والثقافي، فـ "الاختلافات الايدلوجية بين المثقفين والمفكرين العرب، يجب أن تنصهر في بوتقة الأيديولوجية الشاملة للقومية العربية، فنحن أمة ذات حضارة رفيعة اعترف بها العالم أجمع، ولا توجد حضارة متكاملة في التاريخ لم تقم على أساس متين من ايدلوجية شاملة" (راغب، 1998).

- إعادة ترتيب أولويات المراجعات الفكرية، بما لا يفقد العملية برمتها جذوتها المطلوبة، ولا يضيع الوقت والجهد في مناكفات ظلتْ تلاحق كل محاولة جادة لإعادة قراءة التراث المعرفي العربي، من قبيل أن "مطالبة الوعي العربي، كيفما كان الغلاف الأيدلوجي الذي يتمظهر به، بتحديد العلاقة داخله بين العروبة والإسلام معناه مطالبته بتحديد ما هو مطلق وما هو نسبي في هويته" (الجابري، الخطاب العربي المعاصر ،دراسة تحليلية نقدية، 1994)، أو غيرها من المسائل الجدلية التي ربما أعاقتْ أو على الأقل أخّرتْ بشكل ملحوظ، محاولات إعادة استنباط عوامل النهوض الفكري لدى الأمة.

-التسليم بأن أية مراجعة فكرية، تستلزم إحاطات كافية ومستوفية للتراث الإنساني، لاسيما المتعلق أو المرتبط منه بتراثنا العربي، فلا نجاعة تُرتجى من قراءات متجزئة أو بينية، لا تضع في صلب اهتماماتها أن الثقافة العربية تمثل أحد أركان التراث الإنساني بكل ديناميكيته وتجلياته، وأن الثقافة العربية كانت ولا تزال أحدى منصات التراث الإنساني، قدر تعلق الأمر بالإسهام المعرفي في تقديم الحلول الإنسانية للتحديات التي تواجهها معارف البشر.

-الوعي الشديد بالحاجات المستجدة في المشهد المعرفي العربي، لاسيما المتعلقة منها بقضايا الأمة وتطلعات شعوبها نحو التنمية والنمو الاقتصادي واللحاق بالتطورات التكنلوجية والإصلاحات البنيوية والسياسية في جسد الدولة العربية المعاصرة التي تعاني من كثير من التشوهات، والتي لم تعد قادرة على استيعاب تطلعات جيل جديد يرنو إلى المشاركة السياسة والديمقراطية والحكم الرشيد.

ولعل واحدة من أكثر الإشكاليات التي أعَّيتْ المثقف العربي هي شعوره المستمر بأن "التراث العربي الإسلامي بمضامينه ومشاكله الفكرية في وادٍ والعصر الحديث وحاجاته والمستقبل ومتطلباته في وادٍ آخر" (الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، 1990).

ومع كل هذا، فإن إجراء المراجعات الفكرية المُرتجاة، يظل مجرد خطوة أولى، تستلزم إلحاقها بجملة خطوات للوصول إلى مشروع ثقافي عربي مستنير مُعبر بصدق وعقلانية عن إمكانيات أمتنا وتطلعات شعوبها، وبأطره الرئيسة التي ترسم ملامح هذا المشروع النهضوي:

1. أن يتسم بالعقلانية، لا بمعناها الفلسفي الاصطلاحي المجرد من حيث إن الوصول إلى الحقائق يتم حصراً عبر استخدام العقل والتحليل المنطقي للأشياء وليس غير ذاك، وإنما أيضاً، من خلال استحضار أن "العقل في جوهره عالمي الهوية والجذور، إنساني الملامح والآفاق، فإن العقلانية غير ذلك، إذ هي تتعدد بتعدد الثقافات والأمم، ومن ثم فإن العقلانيات العربية اليوم هي حقيقة وجود يحمل في ذاته تناقضات العصر الذي يحياه (موسى، 2001)"، وأن "الصّدمة التي حدثت بيننا و بين الآخر قد أفضت بالضرورة إلى دخول ثقافة الآخر على مجتمع يحوي ثقافة واحدة (أو لنقل فكراً واحداً) هي الثقافة العربية الإسلامية، (التي تمثل ثقافة الأمة كلها)، هذا الدخول الذي أدى إلى نشوء تضاد بين "ثقافتين" ثقافة أوروبية في مقابل ثقافة عاجزة عن إنتاج فكر، فكان من نتائج تلك (الصدمة) دخول النزعة العقلانية إلى المجتمعات العربية الإسلامية دون مجابهة تضمن استبدال التوازن القديم إلى المجتمع بتوازن جديد أكثر فعالية وإنسانية" (السابق).

إن ما نحتاجه بالفعل هو استحضار العقلانية المعرفية بمعناها الشامل بآلياتها ومرتكزاتها قديمها وحديثها، لاجتراح ما يمكن أن نسميه ربما "العقلانية العربية"، بثابتها ومتغيرها، بصانعها والمتأثر بها، بمدخلاتها ومخرجاتها، لكي توظف بوصفها أداة معرفية للمراجعة اولاً والانطلاق فيما بعد لتأسيس مشروع ثقافي عربي متسم ومنضبط بعقلانيته، التي تتجاوز بكثير ما كان لمصطلح "الواقعية" " من التّأثير على البحث الأبستمولوجي وحدوده وآفاقه في البلاد العربية ما يشبه السحر" (سعيدي، 2003).

2. أن يكون تنويرياً، يحمل الثيمة الأولى لتساؤل كانط: "هل نعيش الآن قرناً مستنيراً؟!" (بختى)، متماهياً مع مثالية كانط نعم، لكنه مُستحضراُ لكل جهود الحداثويين العرب من أدباء ومفكرين وأكاديميين على اختلاف الحقب التأريخية، في تقديم معرفة عربية حديثة ومستنيرة، تأخذ في الحسبان الخصوصية المعرفية العربية والحاجات المترتبة عليها، لا الحداثة التي يقول عنها هاربرت ماركيوز "قد جردت المجتمع من مقومات تراثه" (السابق).

3. أن يكون علمياً، يُنحّي على قدر واضح الشوائب الميتافيزيقية، ويضع النظرية المعرفية العربية ضمن مختبرات البحث العلمي وتجاربه المختبرية ومناهج البحث العلمي التجريبية، إذ إنه وبعد فصول طويلة من تحكم الميتافيزيقيات بالفكر العربي، فقد آن الآوان لأن نعطي الفرصة الكاملة لفكر عربي علمي خالص، يستفيد من سفرٍ طويل من النضالات الفكرية العالمية التي انتهتْ إلى حتمية النزوع إلى تفكيك الظواهر المعرفية تفكيكاً علمياً مستنداً إلى مناهج البحث العلمي الرصين، منذ الملامح الأولى التي ميّزتْ فكر بن خلدون، في ربطه بين نشأة العلوم وبين كونها إحدى ظواهر العمران البشري، وتقسيمه العلوم إلى قسمين كبيرين: الأول: العلوم النقلية عن السلف كالفقه والحديث النبوي واللغة، والثاني ما أسماها العلوم العقلية، والتي يتوصل إليها الباحث بجهده الفكري والعقلي كالطبيعيات والحكمة، وما سبقه من الفلاسفة اليونانيين، في تعريفهم لعلم المنطق القائم على مبادئ الاستنتاج الصحيح، أو دراسة الحجج والاستدلال عليها، وما تمثله من بواكير الدعوة إلى علمية التفكير الإنساني وتجريده مما سواه، مروراُ بما يحفل به التأريخ الإنساني من جهود في هذا المجال في مراحل تاريخية مختلفة.
4. أن يكون مُلبياً لحاجات وتطلعات جيل عربي جديد، أضحتْ قيم الديمقراطية وحرية التعبير وحقوق الإنسان والتكنلوجيا والتقارب بين الثقافات، تمثل عنده نمط حياة وسلوكا يوميا لا يوجد لديه ما يبرر التخلي عنها أو الانفصام عنها.

إن أي مشروع نهضوي معرفي عربي، لا يستحضر قيم العصر، سيكون بلا شك مشروعاً منفصلاً لا عن واقعه فحسب، بل وعن جدواه أيضاً، إذ لا معنى هنا للمعرفية العربية التي لا تضع نفسها في خضّم مستجدات العصر ونزعاته، وهو لا يعني قطعاً التماهي معها شكلياً بقدر ما يكون عبر استحضارها وتوظيفها لتقديم فكر عربي يقدم الحلول، لا أن يكون بحد ذاته مشكلة وعبئاً يحول دون نهوض الأمة أو استعادة دورها المُنتظر، كرافد أصيل من روافد الفكر الإنساني.

ولعل من المهم هنا ملاحظة أن التغيّر في طبيعة العلاقة بين الفرد والسلطة، بتغيّر أدوات السلطة في الهيمنة والتحكم أو ما يصفه فوكو في كتابه (المراقبة والمعاقبة) من أنه "أصبح من اليسير الحصول على معرفة كبيرة بالأفراد، كما أمكن أيضاً أن نجعل من الفرد موضوعاُ ما ومُمسكاً لسلطة ما، يُنظر للفرد ضمن فرديته وضمن سماته الفردية التي تميزه عن غيره من بقية الأفراد" (موسى و فكو، الفرد والمجتمع، 2009)،هي واحدة من أبرز التحديات التي يجب على أي متصدٍ لاجتراح معرفية عربية جديدة، ملاحظتها واستحضارها، لتجنب الوقوع في شراكها، إذ لم يعد مقبولاً الرضوخ إلى آليات الضبط والتحكم المباشر أو

غير المباشر للأفراد، لاسيما مع ما تواجه به تقنيات الاتصال الجماهيري، من انتقادات واسعة تتعلق بالتدخل بالخصوصيات الفردية، واستغلال السلطات لمثل هذه التكنلوجيا في إيجاد نمط جديد من الضبط والتحكم بالأفراد.

إن طروحات كهذه ستكون بالغة التأثير والأهمية في صياغة معرفية عربية معاصرة ومُلبية لروح العصر وتطلعات أفراده وجماعاته ومؤسساته، مثلما تكون متماهية مع الآخر المترقب وربما المتحفز لمعرفة كيف سنتعاطى أو تعاطينا مع مثل هكذا تطورات، أعادتْ تموضع الأنسان المعاصر برغبته حيناً ورغماً عنه أحياناً أخرى.

5. أن يكون مشروعاً ثقافياً عربيا مستوفيا لاشتراطات الكونية، متخلصا من شرانق الانكفاء على الذات والتقوقع في المحلية، مستعيدا تقاليد أن يكون فكرا قائدا لا منقادا، رائداً لا تابعاً، منصهراُ في بوتقة كونية لا متشظيا، معبرا عن هموم إنسانية عابرة للأطر والجغرافيا والمحليات إلى آفاق العالمية، بجدة الطرح وعلمية الأدوات وحداثوية الوسائل.

ويظل الإيمان (ابتداءً) بقدرة مثقفي هذه الأمة على أعادة تقديم أنفسهم ومشاريعهم الفكرية، نقطة ارتكاز أساسية، تتمحور حولها ومعها محاولات التأسيس والانطلاق بمشروع معرفي تجددي عربي، يمثل واحداً من أكثر حاجات هذه الأمة في زمنها الراهن.

المشروع الثقافي العربي ودور المؤسسات التعليمية والإعلامية

تحول حوائل كثيرة في وجه المشروع الثقافي العربي وتطوره وقيامه بما هو مطلوب منه على مستوى المجتمع والأفراد والحياة. . . وأمام التطورات الكبيرة التي يعيشها العالم، بالإضافة إلى التحولات والتغيرات السريعة والمتسارعة التطورات مما يجعل متابعة هذه التحولات والتغيرات أمرا صعبا للغاية خاصة في مجتمعات لا زالت تعيش في أغلبها على الاقتتات من موائد الماضي والتقليد والجمود، وهو ما انعكس على طريقه التفكير ونمط الحياة وتحولات الوعي وهو الأمر، أيضاً، الذي أفقد هذه الأمة شخصيتها المتفردة...

إن المشروع الثقافي العربي الجديد لا بد أن ينحو منحى يركز فيه، من بين وأهم ما يركز، على إيجاد وتفعيل الوسائل والمؤسسات التي تستطيع أن تساعد على تحقيق الطموحات التي نصبو إلى تحقيقها، ولعل أهم هذه المؤسسات: المؤسسة التعليمية والمؤسسة الإعلامية.

1- المؤسسة التعليمية:

من الصعب بل من المستحيل أن تتقدم دولة، أو مجتمع أو أمة، دون تعليم، بل لا بد من تعليم مؤسس على قواعد مضبوطة وواضحة؛ تجمع بين الاستفادة من مختلف العلوم والمجالات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع مراعاة مستجدات الحياة المعاصرة الحضارية اليوم.

إن المؤسسة التعليمية هي أهم المؤسسات التي تستطيع أن تحقق مبادئ وقيم التجديد والتقدم وبناء حضارة جديدة متجددة. المؤسسة التعليمية هي الحاضر لطرق ومناهج ووسائل التغيير والتجديد من خلال بناء فكر متنور ووعي نقدي يزاوج بين الاعتزاز بالشخصية الحضارية وفهم وهضم متغيرات الحياة الجديدة والمعاصرة وذلك من خلال تربية الإنسان العربي، منذ طفولته، على امتلاك ما يمكن أن نسميه بالوعي النقدي؛ وعي يتجاوز الجمود والتقليد والموجود إلى أن يصل إلى إعادة بناء وتشييد وعي قائم على روح التفكير والمبادرة والتجديد...

لقد وعت جميع الأمم أهمية التعليم فوضعت له استراتيجيات قابله للتنفيذ والأجرأة، وهيأت لذلك مؤسساتٍ وأطراً ووسائلَ حتى يستطيع هذا التعليم أن يكون على القدر الذي تصبو إليه وعلى تخريج أفواج من المواطنين المتعلمين القادرين على التفكير والتمييز بين الأشياء والأفكار والمذاهب، ومن ثم المساهمة الفاعلة في مجالات الحياة والإبداع والتدبير بالإضافة إلى النقد الإيجابي البناء. . .

لابد، إذن، من توفير مؤسسات تعليمية بمعايير الجودة العالية والشاملة وفق ما هو معروف الآن وما هو مسطر في أدبيات التقويم ومؤشرات التقييم العالمية.

لقد وعت الدول الاستعمارية، قبل عقود، بأهمية خطورة ودور التعليم في بناء ثقافة ترفض الاحتلال وترفض السير في منعرجات مخططاته، ولذلك قامت، ضمن ما قامت به، قبل دخول الدول العربية وأثناء بل حتى بعدها، بوضع المؤسسات التعليمية تحت مراقبتها وإدارتها، وحددت لها طرقا ومناهج تسعى إلى طمس معالم تلك المجتمعات وتشويهها وبناء نمط تفكيري يحط من قيم المجتمع السائدة –بغض النظر عن مستواها وفاعليتها أو عدمها– ويجعل المتعلمين ينفرون منها بل ويقاومونها، حتى يتسنى خلق الاعتزاز بثقافة المحتل الغازي واعتباره مخلِّصاً من التخلف والتقليد، ومن ثم أصبحت لدينا طبقه تسعى إلى إحلال ثقافة المستعمر المحتل محلَّ الثقافات المحلية، ثم تم وضع هذه الطبقة من المتغربين على كراسي التعليم والإدارة لتمارس الدور الذي أناطها به المستعمر، ولتتم مشاريعه بعد خروجها. . .

لا بد، إذن، من أعادة بناء المؤسسة التعليمية في العالم العربي وفق مناهج جديدة تزرع بوادر التجديد والتجاوز حتى نستطيع تنشئة أجيال جديدة بوعي نقدي جديد؛ يسعى إلى إحداث التغيير المطلوب الذي ينقل مجتمعاتنا العربية إلى مصاف الدول المتقدمة مع الاعتزاز بذاته وحضارته التي سيصبح هو

نفسه مساهماً في أعاده بنائها وتطويرها وبالتالي الإبداع والابتكار والتجديد كأشكال وقيم جديده تخاطب الإنسان قبل الأشياء، وتشيد لهذا الإنسان ما هو في حاجة إليه. . . ولإنجاح هذا الطموح لا بد من توفير جميع الوسائل المساعدة والمؤطرة لذلك، نذكر منها:

- وضع استراتيجيات تعليمية دقيقة ومستقلة عن إملاءات الهيئات والمؤسسات الدولية، ولاسيما المالية، تراعي خصوصيات المجتمعات العربية وحاجاتها وطموحها الحضاري والعلمي المستقبلي الهادف إلى الخروج من غياهب التخلف والتبعية الشاملة، في الوقت الذي يستهدف فيه بناء ثقافة جديدة مدركة لمتغيرات العصر والواقع وخصائصهما، معتزة بالقيم الجميلة والإيجابية لحضارتها العريقة، محافظة عليها؛
- تكوين أطر تعليمية ذات مستوى عال: تحصيلاً ومنهجاً وبيداغوجياً وتكويناً.. أطر يتم انتقاؤها وفق معايير دقيقة، مثلما تفعل الدول المتقدمة في هذا الباب، ثم العمل على تكوينها تكوينا منهجيا بيداغوجيا وتربويا وفق أسس ومعايير عالية الجودة، تستطيع أن تقدم مخرجات تربوية وعلمية انطلاقا من استراتيجية تربوية محكمة؛
- توفير جميع الوسائل التي تحتاجها المؤسسات التعليمية وفق مستجدات التعليم المعاصر، لاسيما الوسائل الديداكتيكية والتكنولوجية المساعدة على نقل المعارف والأفكار والثقافة الجديدة وتمحيص المتداول الذي يملأ ساحة الدرس والإعلام، وبالتالي تمكِّن من التعامل مع مدخلات العملية التعليمية بشكل نقدي إيجابي، يتم فيه جعل المتعلم/ الطالب هو محور العملية التعليمية–التعلمية؛
- تطوير الجامعات العربية من خلال وضع استراتيجيات جديدة تسعى لتكوين أطر مستقبلية تخدم بلدانها بكل صدق ووطنية وإخلاص وتفانٍ، متمكنة من مواد تدريسها ومناهج التحصيل الجامعي الجيد؛
- تكوين مراكز بحثية عربية، سواء في كل بلاد عربية أو من خلال تجميع مجموعة من الباحثين في مراكز بحثية تخصصية متكاملة تسعى إلى توحيد الجهود في كل مجال علمي وبحثي، مع العمل على تجهيز تلك المراكز بما تحتاجه في مجال البحث والإبداع والابتكار، ودعمها دعماً مادياً ومعنوياً؛
- تبادل الزيارات والإنجازات بين الباحثين وعقد ندوات ومؤتمرات لتفعيل عمليات التبادل والتفاعل والحوار والتعاون، عربياً ودولياً، مع ممارسة التحفيز والتشجيع؛

- الانخراط في مشروع "مجتمع المعرفة" و"اقتصاد المعرفة" على مستوى العالم العربي، يشارك فيه كل الفاعلين العاملين الذين يمكنهم المساهمة، بشكل من الأشكال، في ذلك لاسيما الأساتذة وأطر التربية والتعليم والمثقفين، مع الحرص على التوجه نحو اليافعين والشباب العربي على الخصوص؛
- تمثل المعرفة، في عصر الانفجار المعلوماتي، المدخل الرئيس لكل تحول مجتمعي أو إقلاع حضاري منشود. إذ "المعرفة وسيلة إلى تسريع حركة التنمية، إذ يمكن من خلالها استحداث بدائل مبتكرة لتعويض التخلف وحرق المراحل" (على، 2009)، وذلك بصهرها في مجالات التعليم وأسلاكه المختلفة عبر منهج مطرد ومضبوط وعملي؛

2- المؤسسة الإعلامية:

لا بد أن تؤدي المؤسسة الإعلامية دورها من خلال نشر وإذاعة ثقافة جديدة تفيد المجتمعات العربية وتمدها بالمعارف والآليات التي ترفع مستواها التحصيلي والإدراكي، وبالتالي أداءها الفكري والحضاري وفق منهج تجديدي إبداعي نقدي يجيب عن أسئلة الإنسان العربي المعاصر، وتضمن له توافقاً فكرياً ونفسياً مقنعاً ومتوازناً يكون محفزاً له على استعادة الفاعلية الضائعة والمفتقدة على إنتاج الجديد والمساهمة في دورة حياة الحضارة المعاصرة، قائماً على مراجعة طريقة التفكير عند هذا الإنسان العربي من خلال تجاوز معيقات وحواجز الجمود والتخلف المعرفي النقدي الفكري والاجتماعي والسياسي الذي لازمه لقرون طويلة؛

- ضرورة امتلاك مؤسسات إعلامية عربية أصيلة مستقله تضع ضمن أولوياتها الاستراتيجية تأسيس مسار ثقافي عربي يدرك قيمة العمل وحساسية المرحلة وعظمة المسؤولية بضرورة التحدي في سبيل صنع الحاضر واستشراف المستقبل وفق رؤية تجديدية؛
- لقد كشفت الأحداث الأخيرة التي عاشها العالم العربي، وخاصة أثناء وبعد الربيع العربي، مدى تبعية الإعلام العربي ومساهمته في تضليل المجتمعات والأفراد في وطننا الكبير، بل ومساهمة كثير من أجهزة هذا الإعلام في مخططات الأعداء الرامية إلى تكريس التخلف والجمود والتبعية ومنع كل محاولات التجديد والتخلص من براثين الفساد والاستبداد، باستثناء مؤسسات إعلامية قليلة، بل نادرة، تعرضت لهجمات شرسة من قبل الوسائل المتواطئة والخائنة للإنسان العربي، المساهمة في تكريس التبعية بشتى أنواعها ومجالاتها، والعائقة لمحاولات الانعتاق والتفرد الثقافي والاجتماعي والسياسي والفكري، المكرسة لاستبداد نمط من ثقافة الاستلاب والمسخ والخضوع والخنوع والجهل والتجهيل. . .؛

- مواجهة التفاهة الإعلامية السائدة والمدعومة سواء من قوى خارجية أو داخلية ناهيك الدعم المادي والقانوني الذي تتلقاه كثير من المنابر الإعلامية من الخارج كما من أموال وضرائب المواطن العربي عبر سن دول وحكومات لقوانين تبيح لها التصرف في ذلك، وممارسة الريع الإعلامي، وفق أهدافها في توجيه الرأي العام حسب ما تراه ضامناً لبقائها حافظاً لاستراتيجيتها في نشر ثقافة التفاهة والتسطيح والتجهيل ضدا على ثقافة التجديد والتنوير؛
- فضح سياسة تلميع النَّكِرَات الثقافية ضدّاً على الرموز الثقافية والفكرية والعلمية والداعية إلى تجديد الفكر والثقافة والاجتماع والعلم والمحرضة على تجاوز مظاهر الفساد والاستبداد، بمختلف مظاهرهما وتجلياتهما، والتي تتم محاصرتها وتشويهها والنيل منها بشتى الوسائل والدعايات؛
- لا بد أن تعمل المؤسسات الإعلامية الجديدة على خلق وبلورة قيم الحوار والتسامح والتبادل والاحترام، وتفعيلها حتى نضمن مشاركة الجميع في مشاريع التجديد العربي التي تعد مسؤولية الجميع وليست حكراً على أحد أو رأي أو كيان أو توجهٍ معين، وإنما لا بد من تضافر الجهود المختلفة وإشاعة جو الحوار الإيجابي التفاعلي الصادق كي تتم الاستفادة من جميع الآراء والمواقف والاجتهادات. . . وهو سبيلنا لخلق فضاء ثقافي عربي تجديدي شامل ينعكس على الحياة الثقافية العربية جمعاء؛
- ضرورة تفاعل الإعلام الجديد مع قضايا المجتمعات العربية من خلال الانخراط الفعال والتفاعل المباشر والإيجابي مع قضاياه وفق وعي يملكه المثقف العربي التجديدي الذي يستطيع أن يرى الأشياء بنظره فاحصة ثاقبة، وبالتالي ممارسة التنوير الثقافي والإعلامي بمنهجية تراعي خصوصيات الفئات المجتمعية وتحقيق الأهداف المطلوبة والأدوار المنوطة حتى تستطيع توجيه الرأي العام توجيها صحيحا يخدم قضايانا العربية وفق خصوصيتنا وقيمنا وتطلعاتنا؛
- وضع مخطط استراتيجي يستهدف تكوين إعلاميين عرباً، مع التركيز على الشباب، ولا بد هنا من جلب الإعلاميين العرب الذين أثبتوا احترافية ومستوى عالٍ جداً في القنوات والمنابر العربية والأجنبية حتى تتم الاستفادة منهم عملاً وتكويناً؛
- العمل على خلق وإنشاء وكالات إعلامية عربية مستقلة ودعمها حتى تستطيع القيامة بدورها على أحسن وجه تجاوز العوائق والحواجز؛
- ربط الإعلام بالتنمية حتى يغدو من أهم الاختيارات والوسائل المساهمة في بنائها ووضعها في مسارها الصحيح والفعال، مع الوعي بضرورة التخطيط المعرفي للتعامل مع المعلومة ومصادرها مما يمكن أن يحقق المطلوب والمرغوب في إطار ثقافة عربية تجديدية لا تقف عند نقل الأحداث السلبية التي تعمل

على نشر الانهزامية والاستسلام والدونية ولكن تبث الإيجابية و"الطمأنينة والاستقرار في نفوس الناس الذين تستهدفهم، وكذلك تقدم لهم النماذج الحية للتطور والإبداع؛ فتنقل التجارب الناجحة وتتباهى بها أمام شعوب المعمورة، وتقدم لنا آخر ما وصلت إليه من ابتكار يلهب العقول ويوفر الوقت والجهد ويقدم الحياة في قالب مميز" (هونكه، 1981)؛

- ربط أواصر الحوار والتبادل والتعاون بين الأصوات العربية الحاملة والدائمة لمشروع المجتمع العربي التجديدي، من جهة، ومع الأصوات المنصفة في العالم؛
- العمل على كشف وفضح الاختراقات الإعلامية والثقافية وهيئاتها وآليات اشتغالها مع مواجهتها بنقد ما تقدمه للمواطن العربي من أخبار وتحليلات مضللة؛
- العمل على بناء مشروع إعلامي مؤسسي يحمل رؤية واضحة ويضع معالم التنفيذ، يؤطره ويُفَعِّلُهُ باحثون مؤمنون بمشروع التجديد العربي الشامل، ترصد له الآليات والوسائل المادية والمعنوية المساعدة على نجاحه وإنجاحه. . .

يعد المشروع التجديدي للمعهد العالمي للتجديد العربي مشروعاً طموحاً يسعى إلى تجاوز القائم في الواقع العربي وبناء وعي ثقافي جديد، يستطيع أن ينقلنا إلى فضاء تنويري يستنهض الهمم ويطمح لتحقيق حلم التطوير والتقدم مع استشراف مستقبل جديد زاهر...

وهذا الطموح المشروع لا بد أن تصاحبه خطط ومشاريع استراتيجية واضحة ومضبوطة وقابلة للأجرأة والتنفيذ في إطار تجديد ثقافي شامل، يشتغل على جبهات متعددة. وتعد المؤسسات التعليمية والإعلامية من أهم الجبهات التي يجب أن تقود هذا المشروع، وذلك من خلال العمل على تطويرها وتهييئها لتقوم بالدور المنوط بها...

لائحة المراجع

- بلقزيز عبد الإله. (2018). *أزمة الهوية في عصر العولمة*. تم الاسترداد من مؤسسة شومان.
- Abdelkader sid Ahmed1999PARISEd. UNESCO
- أبو حامد الغزالي. (1993). *قانون التأويل*. دمشق سوريا.
- إدوارد سعيد. (2006). *الثقافة والمقاومة،حوار دايفيد بار ساميان*. بيروت لبنان: دار الأمير.
- أرثير أيزابرجر. (2003). *النقد الثقافي ،تمهيد مبدئيللمفاهيم الرئيسية*. القاهرة،مصر: المجلس الأعلى لثقافة.
- آرمان ماتلر. (2008). *التنوع الثقافي و العولمة*. بيروت: دار الفارابي.
- الطاهر لبيب. (1987). *سوسيولوجيا الثقافة*. اللاذقية: دار الحوار.

- تركي الحمد. (2012). *حول العولمة الثقافية* . بيروت: دار الشاقي.
- تيري إيجلتون. (2005). *فكرة الثقافة*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- جان فرانسو دورتيه. *معجم العلوم الإنسانية*.
- حسن الحنفي. *حصار الزمن*.
- حسن حنفي. (2000). *حصار الزمن*. بيروت لبنان: دار العربية للعلوم ناشرون.
- حسين موسى، و ميشال فكو. (2009). *الفرد والمجتمع*. بيروت لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع.
- حليم عبد الجليل " 1996*التنمية والتبعية* "فاس /المغربمجلة كلية الآداب، ع 8ص51-11:
- حمودي سعيدي. (2003). *الخطاب الإبيستيمولوجي في الفكر الفلسفي العربي المعاصر حدوده وآفاقه*. الجزائر : أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم الفلسفية بكلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية .
- زغريد هونك. (1981). *شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبا*. بيروت لبنان: منشورات دار الأفاق الجديد.
- زغريد هونكه. (1981). *شمس العرب تستطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبة*. لبنان بيروت: كمشوات دار الأفاق الجديد.
- زغريد هونكه. (1981). *شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أورية*. لبنان بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة.
- ساسي سفيان. (2010).
- سليمان بختى. *فلسفة الأنوار بين كانط وفوكو،دعوة إلى الإستخدام الجريءللفكر* . موقع معابر.
- طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس. (2010). *مفاتيح اصطلاحية جديدة*. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- عبد الحسين شعبان. (2018). *صحيفة هسبريس* .
- عبد الرزاق الدواي. (2013). *في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات*. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- عبد العزيز نوار. (2002). *النهضة العربية*. القاهرة مصر: عين للدراسات و البحوث الإنسانية والإجتماعية.
- عبد الله موسى. (2001). *إشكاليات العقلانية في الفكر العربي المعاصر إنسانيات*. الجزائر: المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الإجتماعية .
- عبد الوهاب المسيري. (2010). *الثقافة و المنهج (حوار مع سوزان حرفي)*. دمشق سوريا: دار الفكر.
- عبد الوهاب المسيري. (2010). *الثقافة و المنهج(حوار مع سوزان حرفي)*. دمشق سوريا: دار الفكر.
- عبد الوهاب المسيري. (2010). *الثقافة والمنهج (حوار مع سوزان حرفي)*. دمشق سوريا: دار الفكر.
- علي شريعتي. (2007). *مسؤولية المثقف*. بيروت لبنان: دار الأمير.
- عمر عودة الخطيب. (1979). *لمحات في الثقاة الإسلامية*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- فراعي عبد السلام2002المغرب

- مالك بن نبي. (1984). *مشكلة الثقافة*. دمشق سوريا: دار الفكر.
- مالك بن نبي. (1984). *مشكلة الثقافة*. دمشق،سوريا: دار الفكر.
- محمد الغزالي. *الغزو الثقافي يمتد إلى فراغنا*. دار الشرق.
- محمد عابد الجابري. (1990). *إشكاليات الفكر العربي المعاصر*. بيروت،لبنان: مركز درسات الوحدة العربية.
- محمد عابد الجابري. (2012). *مسألة الهوية،العروبة والإسلام ...والغرب*. بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمد فتح الله كولن. (2012). *الموازين: أو أضواء على الطريق*. إسطنبول،تركيا: دار النبيل.

محمد محفوظ2019*لتجديد الثقافي :المعنى والأولويات*

- نادية مصطفى. (2016). *نحو مشروع للنهوض الحضاري من الفكر الى الحركة*. تم الاسترداد من http://:lcp.hadaracenter.com.
- نبيل راغب. (1998). *تحديات الثقافة العربية رؤية مستقبلية*. القاهرة،مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- نبيل على. (2009). *العقل العربي ومجتمع المعرفة*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون وآداب.
- نبيل علي صالح. (2014). *"مقاربة في المشروع الثقافي الحضاري الاسلامي، تحديات الحاضر وآفاق المستقبل."*. تم الاسترداد من مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
- نصر حمد أبو زيد. (2008). *الخطاب والتأويل*. الدار البيضاء،المغرب: المركز الثقافي العربي.
- نفس المرجع.
- نفس المرجع السابق.
- نفس المرجع السابق.
- هانز جورج جادمير. (1997). *تجلي الجميل*. المجلس الأعلى للثقافة.
- هانز جورج غادمير. (2007). *الحقيقة والمنهج*. طرابلس،ليبيا: دار أويا.
- هشام زعيط. (2000). *أزمة الثقافة الإسلامية*. بيروت لبنان: دار الطليعة.